ان موسكو «تشجّع المفاوضات المباشرة» والجهود «لعقد مؤتمر سلام»، وإلى ان مسألة التمثيل الفلسطيني لم تطرح في اللقاءات بينه وبين المسؤولين الاسرائيليين (المصدر نفسه، ١١ - ١٢/٥/١٩٩١).

وعلى الرغم من ان موسكو مقتنعة بأنه لا يمكن تجاهل دور منظمة التحرير الفلسطينية في اي تسوية، فانها لم تتوان عن تقديم النصائح الى المنظمة بوجوب تليين موقفها، والتريّث، والانتظار. في هذا المضمار، كشف دبلوماسيون في العاصمة السوفياتية عن ان المشاورات الاميركية - السوفياتية، الهادفة الى عقد مؤتمر للسلام، تركّزت على تذليل العقبة الاساسية في طريق بدء المفاوضات، وهي التمثيل الفلسطيني. ولاحظ هؤلاء الدبلوماسيون ان السوفيات شدّدوا للرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، على اهمية دور المنظمة في «مرحلة ما» من عملية السلام، وبعد التوصّل الى ترتيبات نهائية لعقد المؤتمر، حتى يمكن ممارسة الضغط على اسرائيل، للقبول بتنفيذ قرارات الشرعية الدولية. وقال هؤلاء الدبلوماسيون، ان رسالة موسكو نقلت الى الرئيس عرفات في تونس، مع ضمانات لاستمرار تأييد السوفيات للشرعية الدولية، وللحقوق الفلسطينية المشروعة (الحياة، ٨/٥/١٩٩١). ويبدو ان الاتحاد السوفياتي مقتنع بأن الولايات المتحدة الاميركية ستقر، تدريجاً، بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، كما قال مندوبه الى الامم المتحدة، يولي فورنتسوف، الذي شدّد على مشاركة فلسطينية في مؤتمر السلام، مشيراً الى ان موسكو لا تشاطر بعض الدول العربية موقفها من دور منظمة التحرير الفلسطينية في عملية التسوية (المصدر نفسه، ١٠/٥/١٩٩١). واذا كانت عملية التسوية ستؤدي، في خاتمة المطاف، الى مبادلة الارض بالسلام، واقرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، فان موسكو ترى ان تؤجّل منظمة التحرير الفلسطينية مشاركتها في العملية السياسية الى وقت لاحق، وان تكتفي، في مرحلة اولى، بـ «تكليف» مَنْ ينوب عنها في هذه العملية (انترناشونال هيرالد تربيون، ١٤/٥/١٩٩١).

على ان زيارة وزير الخارجية السوفياتية لاسرائيل ألمحت الى ان موضوع العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين البلدين أصبح شكلياً؛ ورأى مراقبون انه بات لا يقتضي سوى استبدال لافتتي قنصليتين (المصدر نفسه). وفي حين اتخذ المسؤولون السوفيات موقفاً حذراً من احتمال اعلان اعادة العلاقات في اثناء زيارة بسميرتنيخ، فان وسائل الاعلام السوفياتية أجمعت، تقريباً، على اعتبار ان سياسة قطع العلاقات طوال ٢٤ عاماً، في محاولة لارغام اسرائيل على الانسحاب من على الاراضي التي احتلتها في عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧، لم تؤت النتائج المتوخّاة منها. وعلى سبيل المثال، رأى ديمتري بروكوفيف، في مقالة تحليلية في نشرة «ساب» السوفياتية، ان عدم تسوية مسألة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل «لم يفض، ولن يفضي، الى تسوية النزاع العربي - الاسرائيلي. لكن هذه الخطوة [اعادة العلاقات] قادرة، فعلاً، في ظروف معيّنة، على ان تغدو قسطاً يساهم في احراز تقدّم مسيرة السلام في المنطقة؛ وفي المقام الاول، اذا أعيدت العلاقات في سياق عقد مؤتمر السلام في الشرق الاوسط» (النهار، ٩/٥/١٩٩١).

وبما ان زيارة بسميرتنيخ اعتبرت مجرّد اتصال أولي بين المسؤولين السوفيات والاسرائيليين على أرفع المستويات، فقد ذكر الكسي فاسيليف، معلّق صحيفة «كمسمولسكايا برافدا»، ان دعاة استئناف العلاقات الدبلوماسية، فوراً، في وزارة الخارجية السوفياتية يتعاونون، خصوصاً، مع تكتّل الليكود. وقال ان لهذا التكتل الحاكم في اسرائيل «لوبي» في أعلى المراتب السوفياتية، الرسمية منها والمعارضة. لكن القسم الدولي في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ما زال فيه مناوئون لاعادة العلاقات «مجاناً»، خصوصاً ان الكثيرين منهم يشيرون الى ان ذلك قد يكون على حساب العلاقات مع العرب (المصدر نفسه). لكن خبيراً سوفياتياً في شؤون الشرق الاوسط، قال: «ان الجسور مع اسرائيل أصبحت أمراً واقعاً، ولم يبق سوى الاعلان، قريباً، عن 'قص الشريط' إيذاناً بافتتاحها». لكنه رفض ان يحدّد هل يتمّ ذلك في المرحلة القريبة المقبلة، أم لا؟ (المصدر نفسه).

د. نبيل حيدري